

مبادئ الفكر النقدي والتأسيس الإجرائي

08/03/2020

سفيان البطل



مركز أفكار للدراسات والأبحاث

جميع الحقوق محفوظة @ 2020

مبادئ الفكر النقدي والتأسيس الإجرائي

سفيان البطل¹

مقدمة

يسعى هذا المقال إلى رصد مبادئ التفكير المتمثلة في الفردانية والتفكير النقدي والحقيقة والمعرفة والرأي والدليل الحجاج. فالفردانية تبدأ عندما ندرك أنه ليس من الممكن الإفلات من تأثير الآخرين والظروف والسياقات التي تنتجها. أما التفكير النقدي فهو التطور الحاصل في التأمل والإبداع والنقد وهذا ما يجعل الحقيقة مكتشفة تدور حول شيء ما؛ تنتج المعرفة من حيث هي التجربة واختبار للأفكار. في حين أن الرأي هو قابل للخطأ وممكن التكذيب بالمبول أو على أساس الاعتقادات أو بناءً على النظريات. بينما الأدلة فهي تدور وفق مبادئ التفكير النقدي حول موضوع يتم بناؤه وإفساح مجاله على الجديد ومكتسبات العصر. لهذا كان الحجاج هو وسيلة في تبادل الرأي بين شخصين فأكثر من أجل تصحيح هذه الأفكار أو دحضها، لدى قد كان للفكر النقدي الدور الكبير في بيان المنطق الذي يحرك هذا الرأي.

وبهذا كانت هذه المبادئ المذكورة أعلاه هي مدار تطبيقات لدى ثلة من الفلاسفة والمفكرين على المجال الإنساني كمجال براغماتي، فتطبيقات مبادئ هذا الفكر تتم في الطب والاقتصاد والسياسة والتعليم وغيرها، من هنا انطلقنا في مقالنا هذا بالتفصيل في مجمل هذه المبادئ وتوضيحها للقارئ من خلال دراسات معاصرة مواكبة لتطور التفكير الراهن حتى تكون ثمرة هذا البحث مفيدة لكل باحث ومطلع.

إذن، ما هي خصائص الفكر النقدي؟ ما مدار موضوعاته؟ كيف يمكن أن تساهم في تطوير المعرفة وتطوير قدرات الذات الفردية والجماعية على تناول موضوعاتها؟

¹. باحث متخصص في الفلسفة وقضايا الفكر الإنساني، مراكش- المغرب.

ماهية مبادئ التفكير

ليكون أي شخص حريص على أن يصبح رائداً وفاعلاً، يجب عليه أولاً أن يفهم أنه لا سبيل لتحقيق ذلك إلا عن طريق أدوات وقواعد، لكن في الفكر النقدي تعتبر المبادئ أهم من الأدوات لأن هذه الأخيرة تشكل مادة موضوع لها.

لهذا الغرض سنقوم في هذا القسم بالحديث عن هذه المبادئ والتي حصرناها في سبعة مبادئ أساسية نذكرها كما يلي: الفردانية، التفكير النقدي، الحقيقة، المعرفة، الرأي، الدليل، الحجاج. ولعل أغلب هذه المبادئ معروفة لدينا، لكن لما كانت الحاجة إلى إعادة النظر فيها واختبارها هي دعوى من ثلاثة أسباب تتمثل في:

- 1 - لأن أغلب الاعتقادات الشائعة حول هذه المبادئ هي مغلوطة.
- 2 - إن كل من يقوم باختبار هذه المبادئ بحذر شديد هو دائماً يحرز أو يكافئ بمعرفة عميقة جديدة.
- 3 - المعرفة الدقيقة بهذه المبادئ ومساهمتها في تحقيق مهارات أكثر في تفكيرنا.

1 - من أنت؟

لنفترض أن أحداً ما سألك من أنت؟ سيكون جوابك ببساطة وبشكل كافي موجز أن تخبره باسمك، لكن إذا كان السائل غرضه من السؤال هو أن يعرفك بشكل دقيق، فالسؤال هنا سيكون أكثر تعقيداً لتجيب عنه.

إذ من البديهي لديك أن تقدم تفاصيل حول وزنك وعمرك وطولك، وأيضا سيكون عليك أن تضم في حديثك كل مشاعرك وما تحبه، بل حتى الأسرار التي لم تشاطرها مع أي شخص آخر؛ «كتأثيرك في من تحبهم، ورغبتك في إرضاء الناس الذين تعمل معهم..»².

بالرغم من كل هذه المعلومات التي تبدو نوعاً ما مملّة، لكن لنفترض أن الشخص الذي سألك قبلاً ما زال لديه فضول بخصوصك فسألك مرة أخرى: كيف صرت ما أنت عليه الآن؟ إذا لم يَنْهَك صبرك؛ فرصة أنه لديك جواب مثل: «أنا هكذا لأنني اخترت أن أكون كذلك، لأنه لدي اهتمام بمواقف وأفضليات وعواطف أخرى، وقد كانت من انتقائي، الشيء الوحيد الذي اخترته وناسب أسلوبه وشخصيتي أفضل»³.

تعتبر هذه الإجابة طبيعية وكافية، وهي في جزء صحيحة لكن في جزء كبير خاطئة، لأن تأثير العالم فينا جميعاً هو أكبر وأوسع من إدراكاتنا، وبصفة عامة قد ندرج هذا التأثير تحت خمسة خانات نضعها على الترتيب التالي:

². Ruggiero (Vincent Ryan), Beyond Feelings, a guide to critical thinking, Ninth Edition, published by McGraw-Hill, New York 2012, page 4.

³. ibid, page 4.

1. تأثير الزمان والمكان: على اعتبار أننا لسنا عنصرا لنوع معين، لكن نحن أيضا وجدنا في زمان معين من التاريخ لهذا النوع وفي مكان معين بالكوكب، هذا الزمان والمكان عرف بحالة مفصلة لمفاهيم واعتقادات وكونية ... كل يمكن أن يحد خبرتنا ويؤثر في أسلوب تفكيرنا.

«باختصار، أن تعيش في عصر وثقافة مختلفين سيجعل منك شخصا مختلفا، حتى وإن كنت قد تمررت على قيم عصرك السابق، ستظل تستحضر سياق حياتك بمعنى آخر، وستظل تؤثر في ردود أفعالك»⁴.

2. تأثير الأفكار: عندما تكون فكرة واحدة معبر عنها، بقرب وفي علاقة مع باقي الأفكار في وقت واحد متنقلة وموصلة لمعنى منطقي لا مفر منه. بشكل عقلائي هذه نسب معبر عنها بعبارة "عاقبة" sequitur وفي سياق لاتيني تعني "ما يتبعه".

فلنأخذ على سبيل المثال فكرة أن عدة أساتذة وآباء يشرحون لأطفال صغار كطريقة لتشجيعهم: «إذا أمّنت بنفسك، يمكنك أن تنجح في أي شيء»⁵. من هذه العبارة نجد تبعات هي أن لا شيء غير الإيمان نحتاجه؛ ولا حتى الموهبة أو العمل الجاد هو مهم لتحقيق هدف ما في حياتنا. إذا منطلق الفكرتين هو متساوي إذا كان معناهما متلازم وغير منفصل عن الحلقة الرابطة بينهما.

وبالتالي بفضل انتقال أفكار متقاربة الرابط إلى معنى بعضها البعض، يصبح من الممكن للفكرة أن تتضمن أفكارا أخرى. ومثالا على هذا: فكرة أنه ليس هناك فرق حقيقي بين الفضيلة والرذيلة يتضمن أن الناس يجب ألا يشعروا بأنهم مقيدون بمعايير أخلاقية سائدة.

فإذا كانت لدينا أفكار لا تعد ولا تحصى تتصادم، فهذا سوف يؤثر في اعتقاداتنا وسلوكياتنا بطرق متشابهة، أحيانا بشكل بسيط وأحيانا أخرى بشكل أعمق، وهذا ممكن أن يحدث حتى وإن لم يكن لدينا وعي يتضمن الأفكار.

«الأفكار التي لا تعد ولا تحصى والتي واجهتها قبلا سوف تقوم بالتأثير في اعتقاداتك وسلوكك بنفس الطريقة – أحيانا سيكون تأثيرها قويا وعميق وأحيانا أخرى سيكون أقل من ذلك، وهذا الأمر يمكن أن يقع معك حتى لو لم تكن محتضنا للأفكار بشكل واع لتؤثر فيك»⁶.

3. تأثير الثقافة: ننتقل في هذا القسم بطرح سؤال مهم هو: أي تأثير للثقافة علينا؟ للجواب على هذا السؤال، نحتاج فقط إلى الأخذ بعين الاعتبار النسق والوسائل (الأدوات) العامة المستعملة في الإعلام. فصناعة الإعلان المعاصرة على سبيل التحديد تعتبر نموذجا مثالي

⁴. «To sum up, living in a different age or culture would make you a different person. Even if you rebelled against the values of your time and place, they still would represent the context of your life-in other words, they still would influence your responses», Ruggiero (Vincent Ryan), Beyond Feelings, a guide to critical thinking, Ninth Edition, published by McGraw-Hill, New York 2012, page 5.

⁵. ibid, page 6.

⁶. «The innumerable ideas you have encountered will affect your beliefs and behavior in similar ways—sometimes slightly, at other times profoundly. And this can happen even if you have not consciously embraced the ideas», Ruggiero (Vincent Ryan), Beyond Feelings, a guide to critical thinking, Ninth Edition, published by McGraw-Hill, New York 2012, page 7.

للحديث عن ما تتركه من تأثير في الجمهور من خلال شعاراتها وإعلاناتها باسم الحرية والاستقلال.

ويمكن أن نعتبر هذه المقاولات على أنها صممت للتحكم بمشاعر الآخرين ولخلق أكاذيب تحتاج لأن يتم إنتاجها وخدمتها، وكنتيجة لهذا نلاحظ كثيرا من الناس يكتسبون عادات من أجل الاستجابة عاطفيا بشكل متهور وساذج نحو أي شكل من أشكال التحكم هاته. وأيضا نجد هذه الفئة من الناس المستهدفة من قبل الإعلام يميلون إلى اكتساب قيم جديدة مختلفة عن تلك التي حصلوها أثناء نشأتهم داخل بيوتهم أو المدارس التربوية⁷.

4. تلاعبات واستغلال العلم: يحاول التأثير في الأفكار والسلوكيات، فالاستغلال لم يصبح علما حتى بدايات القرن 20، حينما حاول **إفانبافلوف Ivan Pavlov** أستاذ علم النفس الروسي، نشر عمله حول شروط (التعلم) الانعكاسية (Conditoned (Larned) reflexes، حيث لاحظ **Pavlov** أنه بقرعه للجرس كلما شاء إطعام كلبه، يبدأ لعاب الكلب في السيلان، ثم بعده لاحظ أنه حتى وإن قام بقرع الجرس دون وجود طعام ليقدمه للكلب يسيل لعابه. ثم جاء عالم نفس أمريكي اسمه **John Watson** الذي تأثر وأعجب باكتشاف **Pavlov** هذا ليطبقه على الإنسان بحد ذاته لغرض التحكم في سلوكه⁸.

«واطسون شخصية أقل شهرة في مجال تطبيق المبادئ السلوكية لصناعة الإعلام، لقد قضى جزء من حياته يعمل لحساب وكالات خاصة، وفي وقت قليل أدرك أن أكثر شيء عملي لإغراء والتأثير في الزبائن لا يكمن بما هو عقلي، بل بما هو موجه مباشرة نحو المشاعر»⁹.

5. التأثير النفسي: تعتبر النظريات في مجال تخصصات علم النفس والاجتماع لديها أيضا في زماننا الحالي تأثير على اعتقاداتنا.

اليوم النظريات قد تغيرت حيث أن جميعها تشخيص نموذجي كنقص في احترام الذات، ذلك أن التغيير الحادث هو أنه في السابق كانت شخصية الفرد تتسم باحترام لذاتها وتتميز بإمساكها لزام الموضوعات وحبها للريادة، كما كان هناك موضوع يحمل على الذات هو ما نطلق عليه بالذات العارفة self-knowledge أو أنها كانت تتميز بصفة النقد والمواجهة self-critical and self-effacing.

كل هذه المفاهيم تغيرت في زماننا هذا، الأمر الذي أتبعه تأثر قوي في جودة أفكارنا وقوة البنية الحجاجية مما رافق هذا التغيير الهائل نظرتنا لذواتنا والعالم، حيث أضحى الحديث الآن ينطوي على موضوعات لا تتعدى كثيرا ما هو نفسي في عمقه بالأساس، حيث هذه الموضوعات بعدما كنا حاملين لها كجزء من بينتنا الشخصية أصبحنا نفتقدها مما دفعنا الأمر إلى دراستها والبحث عنها في الأوراق والكتب، من هذه الموضوعات نذكر مثلا:

7. «By age 18 the average teenager has spent 11,000 hours in the classroom and 22,000 hours in front of the television set. He or she has had perhaps 13,000 school lessons yet has watched more than 750,000 commercials. By age thirty-five the same person has had fewer than 20,000 school lessons yet has watched approximately 45,000 hours of television and close to 2 million commercials», Ruggiero (Vincent Ryan), Beyond Feelings, a guide to critical thinking, Ninth Edition, published by McGraw-Hill, New York 2012, page 7.

8. take a look to John Watson in he's book « father of behaviorism » for more details.

9. Ruggiero (Vincent Ryan), Beyond Feelings, a guide to critical thinking, Ninth Edition, published by McGraw-Hill, New York 2012, pages 9 - 10.

الاستقلال الذاتي self-centeredness أو الثقة بالنفس self-confidence [...] إلخ حيث تحولت هذه الصفة في كثير من الثقافات الآن من صفة فاضلة إلى صفة ذات قيمة رذيلة. هذا بالإضافة إلى ظهور شعارات تدعو إلى تعزيز الثقة بالنفس مثل قولنا لأحدهم: «سر النجاح يكون انطلاقاً من الشعور بالرضا عن ذواتنا»¹⁰، من هنا أصبحنا نتساءل عن ما الحاصل في هذه الحياة الإنسانية، ما سبب هذا التغيير الكبير حتى وإن كان الجواب هو ما بين أعيننا الآن.

وبالتالي؛ نلاحظ أحيانا هناك موضوعات مهمة جدا لكنها تخلق لنا أمراض داخل المجتمع، وهذا أمر مفهوم في ضوء الواقع الذي نعني بضرورة اكتشافه، إذ لا يمكن أن يكون مخترعا منذ اللحظة التي لم يكن من الممكن أن يكون مبتكرا، لكن ما يمكن أن يكون مبتكرا هو اللا معنى، فلا عجب إن قال ألبرت إنشتاين في لحظة ما من حياته أن أكثر شيء غير مفهوم عن العالم هو أنه مفهوم.

6. كيف تصبح فردانيا؟: في ضوء ما قمنا بمناقشته، يجب ألا ننظر إلى الفردانية كشيء ولدنا به فقط وإنما كشيء مكتسب أيضا، بل يمكن أن نعتبرها إن شئنا أمرا مستحق.

الفردانية تبدأ عندما ندرك أنه ليس من الممكن الإفلات من تأثير الآخرين والظروف، بهذا المعنى تصبح الفردانية تعني اليقظة Vigilance ولتحقيق هذه اليقظة يقترح Ruggiero¹¹ الخطوات التالية:

- ابحث في أول انطباع لديك مع أي شخص أو في أي موضوع بشكل غير نهائي، لا يهم كيف ربما هي تتحكم بك، أرفض أن تتضمنك إلى أن تختبرها.
- قرر لماذا كان رد فعلك على الشكل الذي اتخذته ولماذا ليس بشكل آخر.
- فكر في احتمالات أخرى لانفعالاتك نحو شخص ما أو موضوع معين أو حتى ظرف آخر.

- اسأل نفسك مرة أو أكثر عند كل انفعال هل هو أكثر مناسبة من الانطباع الأول. وعندما تجيب على سؤالك هذا، قاوم تأثير الظروف المحيطة بك التي تدفعك للتكيف معها.

«لكي تضمن على أنك ستكون حقا شخصية تتسم بصفة الفردانية ولست تدعي فقط على أنك كذلك، قم بتطبيق الإرشادات -السابقة- في حياتك اليومية بشكل روتيني»¹².

2 - التفكير النقدي

1.2 - التفكير النقدي المطلوب:

أولا لنبدأ بوضع تمييز ضروري بين التفكير والشعور، ذلك على اعتبار أننا أحيانا نخلط بينهما أو نستعملهما بطريقة قابلة للتبادل، مما يترتب عليه لحظة التجريب وقوعنا في قلق كبير من جراءه.

الشعور هو استجابة ذاتية يعكس المشاعر والأحاسيس أو حتى الرغبات، فهو يعتبر مفيدا في توجيه انتباهنا إلى ما يفترض أن ن فكر فيه، بينما التفكير فقد نعتبره حالة من الوعي العقلي يؤدي وظيفة معالج

¹⁰ . ibid, page 11.

¹¹ .Ruggiero (Vincent Ryan), Beyond Feelings, a guide to critical thinking, Ninth Edition, published by McGraw-Hill, New York 2012, page 13.

¹² . ibid, page 13.

للمشاكل واتخاذ القرارات كما تتسم هذه الوظيفة أيضا بانهمامها على دور التوضيح من أجل تحقيق فهم أكثر جلاء وتقدما. «فإذا كان الشعور ليس له أي غاية خلف التعبير عن نفسه، فالتفكير يسعى خلف نفسه من أجل المعرفة أو الفعل»¹³.

بالإضافة إلى هذا يبقى الشعور في حاجة للاختبار قبل أن يكون مصدر ثقة نبي عليه قراراتنا بينما التفكير هو أكثر طريقة عقلانية و وثوقية لاختبار هذه المشاعر والأفعال الإنسانية، من هنا كانت ثمة ثلاثة نماذج للتفكير هي :

- التفكير التأملي
- التفكير الخلاق أو المبدع
- التفكير النقدي

ونحن نركز أكثر هنا على التفكير النقدي لأن جوهر هذا النوع من التفكير هو التطور

.Evaluation

«يُعرف الخبراء "التطور" كمعنى لتقييم مصداقية تصريح (عبارة) أو تمثيل الذي يفسر ويصف لإدراك وفهم شخص معين، تجربته وموضعه، أحكامه واعتقاداته أو حتى رأيه. ولتقييم القوة المنطقية لاستنتاج أو قصد فعلي يربط بين التصريحات والأوصاف والأسئلة أو أي شكل من أشكال التمثيلات الأخرى»¹⁴.

فالتفكير النقدي هو بحث عن أجوبة ومطالب، من ثمة كانت أهم تقنيات المفكر النقدي هي طرح أسئلة تدقيقية من أجل التحقق من صدق القضايا والموضوعات، بالإضافة إلى هذا نجده يوظف أيضا كتنقية أخرى له الأسئلة بحد ذاتها لغرض تحليل الأطروحات والمسائل المطروحة. وهذا الأمر هو ما يفسر لنا طبيعة المفكر النقدي الذي يتميز بطابع يرتكز فيه على الحجج في أحكامه وإلمامه بحدود معرفته والانفتاح على أفكار الآخرين، وأيضا نجده شخصية تتمتع بخاصية التفكير قبل اتخاذ القرارات والتحكم في المشاعر قبل أن تتحكم هي فيه وعدم تسرعه في الحديث وكشف لكل أوراقه بل يتأنى ويؤخر ويؤجل قضية ما لحين آخر لما يخدم صالحه.

2.2 - أنشطة أساسية في التفكير النقدي

أولا لنبدأ بتقسيم لشكل أو إلى أي نوع الأسئلة تنتمي¹⁵:

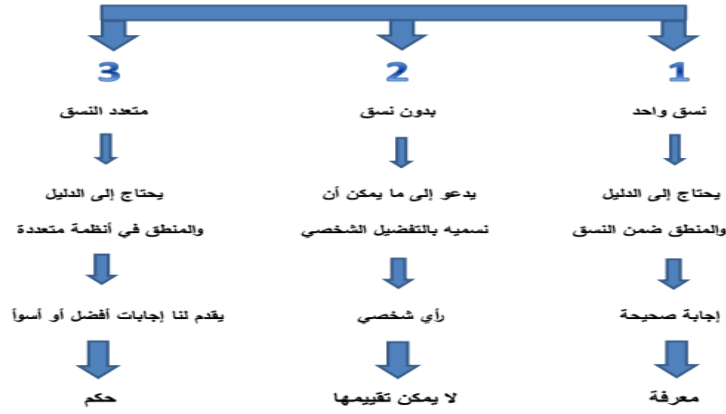
¹³ . ibid, page 19.

¹⁴ .«The experts define evaluation as meaning “to assess the credibility of statements or other representations which are accounts or descriptions of a person’s perception, experience, situation, judgment, belief, or opinion; and to assess the logical strength of the actual or intended inferential relationships among statements, descriptions, questions or other forms of representation.”», Peter A. Facione, Critical Thinking. What It Is and Why It Counts, Measured Reasons and The California Academic Press, Millbrae, CA 2011, page 6.

¹⁵ . Richard Paul and Linda Elder, The Miniature Guide to Critical Thinking Concepts and Tools, 28th Annual International Conference on Critical Thinking, Near University of California at Berkeley, July 19 – 24, 2008, page 16.

ثلاثة أنواع من الأسئلة

عند مقارنة أي سؤال، سيكون من المفيد معرفة أي نمط ونوع من الأسئلة هو. هل هو سؤال ذو جواب قطعي حاسم؟ أم أنه سؤال يدعو إلى خيار شخصي؟ أم أنه سؤال يدعو إلى الأخذ بعين الاعتبار مختلف وجهات النظر المتباينة؟

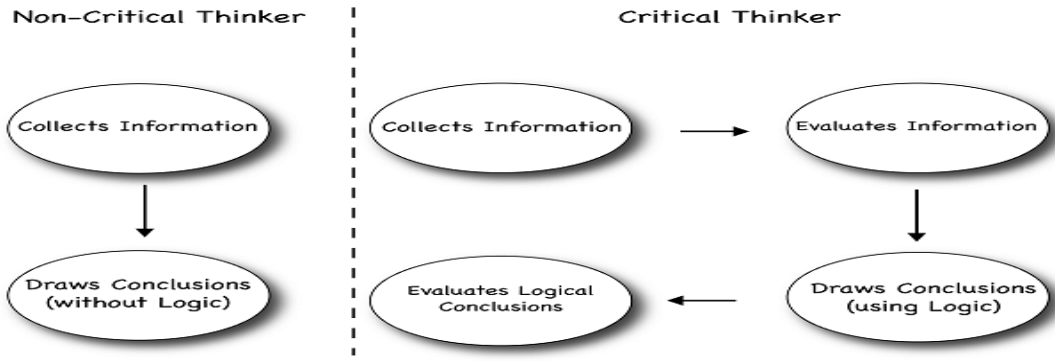


أما فيما يتعلق بالتفكير النقدي فيتميز بكونه نشاط منفتح على التحقيق والتفسير ثم الحكم تماما كما يبين الجدول التالي¹⁶:

النشاط	تعريفه	متطلباته
التحقيق	إيجاد الدليل – فهذا هو البيان الذي قد يكون مفتاح الجواب	على الدليل أن يكون وثيق الصلة بالموضوع وكاف
التفسير	تقرير ما تعنيه الأدلة	على التفسير أن يكون أكثر عقلانية من التفسيرات الأخرى المتباينة
الحكم	التوصل إلى استنتاج حول القضية المعنية	على الاستنتاج أن يتوافق مع الاختبار المنطقي ويستوفيه

من الملاحظ أن المفكرين غير المسؤولين يختارون أولاً الخلاصة ثم يبحثون خارج الأدلة والحجج ليبررون سبب اختيارهم، إنهم يفشلون في إدراك النتيجة الوحيدة التي تستحق الانتزاع، إنها وحدها مرتكزة خارج فهم المشكلة أو القضية وهي حل ممكن. إنها مقبولة عند فئة خاصة، كشكل من التخمين (أو الظن) والحدس والافتراض؟ وأنشطة من قبيل التحقيق والتفسير وكذا الحكم من شأنها أن تزودنا بنقطة بداية مفيدة جدا من أجل بلوغ وتحصيل التفكير المعياري the thinking process لنطور فكرة ما.

¹⁶ . Ruggiero (Vincent Ryan), Beyond Feelings, a guide to critical thinking, Ninth Edition, published by McGraw-Hill, New York 2012, page 24.



3 - الحقيقة

لمئات السنين اختلف الفلاسفة حول ماهية الحقيقة، فهناك من ربطها بالمثل العليا وآخرون بمطابقة ما في الأذهان لما في الأعيان ... إلخ، وهكذا يستمر الأمر في تعدد تأويلات الحقيقة إلى أن يصبح الآن السؤال المهم هو أي دليل ممكن أن يقدم لنا لدعم وجود حقيقة ما؟

سؤال الحقيقة أو ما الحقيقي هو وضعية أخذناها نحو سؤال لديه أهمية كبيرة بعلاقة مع كيف ننظم تفكيرنا ونمثله؟. "فكل واحد يخلق حقيقته الخاصة" هذا القول يذهب بنا إلى التساؤل "وما هو غير الحقيقي عندك الذي ليس هو كذلك بالنسبة إلي؟" من خلال هذه العبارة قد يفضي الحديث إلى بعد آخر مثل "أنا حر وأستطيع بأن أومن بما يناسبني". من خلال هذا الادعاء نستنتج أن أي شخص يفكر في الحقيقة لأنه يظن أنها كذلك، لا لأنه يملك أدوات لإثباتها وإبراز الشروط التي دفعت بتحققها.

1.3 - الحقيقة مكتشفة وليست معطاة

من المهم جدا إدراك أن فكرة «كل واحد منا يخلق حقيقته الخاصة»¹⁷ أضحت مضحكة، لأننا حقا نخلق شيء ما لكنه ليس حقيقة وإنما هو اعتقاد. فالحقيقة تدور حول ماهيتها، أي حوله ماهية الشيء-الوقائع في ترتيبها وتشكيلها الفني والمتناسب الأجزاء بعضه مع بعض. لهذا اعتبرت اعتقاداتنا وفرضياتنا صحيحة عندما تماثل الواقع وخاطئة عندما يكون العكس، من هنا قرر **Ruggiero Vincent Ryan** أنه لكي نقوم بـ «البحث عن الحقيقة في مثل هذه القضايا، يجب أن نبحث عن الجواب الذي يناسب الحقائق، الجواب الصحيح»¹⁸.

4 - المعرفة

1.4 - متطلبات المعرفة:

أن تعرف عادة تعني شيئا آخر، إنها القدرة على التعبير على ما هو معروف وكيف أدركناه، فالمعرفة تحرز لدينا إما بشكل فعال عن طريق تجربة واختبار الأفكار ومعرفة مدى قدرتنا على إثباتها أو محاولة كشف مدى قابلية تحققها، أو عن طريق العقلانية والمنطق حينما نحاول تحليل مشكلة مطروحة

¹⁷. ibid, page 37.

¹⁸. ibid, page 37.

لدينا أو على اعتبار أن كل الأحداث ممكنة التأويل أو برسم خلاصة منطقية. وإما قد تحرز المعرفة بشكل غير فعال عن طريق الدروس والحصص المدرسية.

لكن تمر علينا لحظة نتساءل فيها إن كان الإيمان هو شكل من أشكال المعرفة، في الحقيقة يمكن أن نعتبر أن طبيعة العلاقة بين المعرفة والإيمان الديني هي أن كلاهما مركب ودقيق. فعبارة اعتقاد ديني من خلال التعريف تقترح إيماناً بشيء ما لا يمكن إثباته، ولكن هذا لا يعني أن هذا المعتقد غير صحيح؛ وإنما يعني فقط أن هذه الحقيقة التي ينادي بها الخطاب الديني مهما كانت لا يمكن أن تكون مثبتة بشكل قاطع.

اليهود يؤمنون بأن موسى عليه السلام كلّم الله، والنصارى يؤمنون بأن عيسى عليه السلام ابن الله، والمسلمون يؤمنون بأن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والعلم ببساطة لا تجري عليه هذه المعتقدات، بينما الفلسفة تستطيع أن تعطي حجج لمعارضتها لكن لا تستطيع أن تثبتها أو تدحضها.

2.4 – عوائق المعرفة :

هناك عادتان اثنتان تعرقلان المعرفة، الأولى هي الافتراضات والثانية هي الظن، أما الافتراض فهو أخذ شيء ما لتضخيمه، هذا هو؛ اعتبارياً يُقبل كحقيقة شيء لم يثبت ويبرهن عليه، أو ربما يكون بشكل عقلائي مدار نزاع، وهذا بسبب افتراض هو بصفة عامة نشاط غير واع.

وأما الظن يعرض الأحكام على الحدس أو أنه يأخذ فرصته في الجواب من دون التأكد من صحته، وهذا تماماً يشبه الخلاف القائم بين الحقيقة والوهم والخطأ الذي تحدث عنه كانط حيث اعتبر أن الخطأ يقدم نفسه كخطأ مع شروط صحته، بينما الحقيقة هي قائمة في ذاتها ومصرحة عن نفسها مقدمة بذلك أسباب إعلانها عن ذاتها كحقيقة وظروف اعتبارها كذلك، لكن الأخطر بين الثلاثة هو الوهم وهو الذي اعتبر كانط أن ديكارت لم ينتبه إليه، فالوهم يقدم نفسه كحقيقة ويسعى إلى أن يحل محلها دائماً، إنه مرن متكرر بصفته مما يجعل إدراكه صعب. وإلى حد ما يمكن أن نعتبر الافتراض والظن أحد أشكال الوهم، لذلك كان الأول - الافتراض - سبباً يعيق الاهتمام والثاني - الظن - سبباً ينكر أهمية الأدلة وكلاهما أسباب تعيق التقدم نحو المعرفة.

5 – الرأي: إلى أي درجة تعتبر آراؤنا جيدة؟

أولا يجب أن نعي أن آراءنا ممكنة التكذيب أو أن تكون خاطئة حتى لو بنيت على حجج قوية، لأن الإشكال الكامن في هذه القضية هو أنه لم يتم اكتشاف بعد طريقة لتكذيبها، «فالأبحاث أظهرت على أن الناس من الممكن أن يكونوا مخطئين حتى عندما يبذلون مجهوداً كبيراً للحكم على القضايا والآراء بموضوعية»¹⁹. من هنا اعتبر سؤال الصحيح أو الخطأ يفترض أن يكون غير موضوعي أو شخصي بشكل تام، وبحسب هذه الفرضية شاع حديث ما الذي يجعل من افتراض شخص معين صحيح بدلاً من افتراضي الشخصي. فعلى سبيل التوضيح؛ إذا كنت تؤمن بسلوك عملي هو لا أخلاقي وأنا أؤمن بأنه أخلاقي، فحتى لو كان هذا اعتقاد شخص بارز ما فكلانا على صواب، فالذي ينظر إلى المسألة على أنها لا أخلاقية هي صحيحة من منظوره الشخصي تماماً كما هي صحيحة من منظوري أنا باعتقادي أنها أخلاقية.

¹⁹. ibid, page 61.

وللخروج من هذا المأزق الذي يبدو وكأنه يدور بنا في حلقة فارغة، لتكن (الالتزامات والأهدافم النتائج) معايير يمكننا توظيفها للزيادة من فرصة أن تكون أحكامنا القيمية صحيحة.

- الالتزامات: الالتزام هو تقييد للسلوك، يطالب بأن نفعل شيء ما أو نتفاداه، وأكثر الالتزامات وضوحا هي المتفق عليها منهجيا كأنها تعاقدية.

- الأهداف: بالمعنى العام الأهداف هي أفكار التميز، أهداف تعود بانسجام عظيم على أنفسنا وفي علاقتنا بغيرنا، وعلى مستوى أخلاقي تعتبر الأهداف مبادئ محددة تساعدنا على الحفاظ على الآخر بالحرص على احترامه.

- النتائج: هي الفائدة، وانسجام نتائج فعل ما يؤثر في الشخص الذي يؤدي وظيفة ما.

1.5 - أنواع الأخطاء التي نقع فيها

هناك أربعة أنواع للأخطاء التي يمكن أن يسقط فيها أي رأي وهي كالتالي:

- 1 - الميول نحو الخطأ أمر سائد بين كل الناس بحكم كونهم بشرا في الأخير.
- 2 - الميول نحو الخطأ مرتبط بفرديانية العقل أو الاعتقاد أو حتى النظريات (بمعنى الانفراد بتوجه حسب الميول ومعارضة ما سواه).

3 - الأخطاء تأتي من الحوار والحدود الإنسانية للغة.

4 - الأخطاء بشكل عام هي نمط خاص بكل عصر معين.

وهناك بعض الناس بطبيعة الحال عرضة للوقوع في الخطأ أكثر من غيرهم، والفيلسوف الإنجليزي جون لوك²⁰ يضع تقسيم ثلاثي واضح للذين يقعون في هذه الأخطاء وجعلهم بين من هم إما:

• هؤلاء الذين نادرا ما يكونون عقليين على الإطلاق، في حين أن المطلوب هو أن يفكرون وينطلقون إلى الفعل *thinking and action*.

• هؤلاء الذين يصممون على أن يتركوا العاطفة بدلا من العقل لتحكم حياتهم.

• هؤلاء الذين يتبعون العقل بإخلاص تام.

بالإضافة إلى هذه اللائحة نضيف مزيدا من الفئات الأخرى ك²¹ :

• هؤلاء الذين لا يملون من إعادة اختبار صحة رأي معين كان ممنهجا.

• هؤلاء الأفراد الذين هم عرضة على الإطلاق لفقدان كل فرصهم لتصحيح آراءهم الخاطئة عندما تظهر أدلة جديدة.

2.5 - تشكيل الرأي وتطويره

²⁰ . ibid, page 65.

²¹ . Ibid, page 65.

أحد أهم القواعد التي تجعل من الإنسان متسعا vastly أكثر من معقد complex ومهتم بدلا من متحجر وجامد هو قدرته على إعادة صياغة وتشكيل آرائه، إنها قدرة فطرية في الإنسان لا يمكنه أنه يوقفها فيه، إلا أنها تبقى سيفاً ذو حدين. فإما أن تنتهي به إلى الحكمة أو إما أن تنتهي إلى الدخول في متاهة (الضلال إن صح التعبير). ولتفادي الوقوع في هذا الأخير هناك بعض الخطوات البسيطة التي تساعد في تطوير والرفع من جودة آرائنا هي على الترتيب التالي²²:

• محاولة فهم كيف يمكن أن تتشكل آرائنا، وهذا لا يتم إلا عن طريق اكتشاف معنى إدراكاتنا، وهذه العملية لا تتم إلا عن طريق التفكير النقدي.

• قاوم الإغراءات لتعالج آراءك كحقائق.

• مراقب monitor أفكارك يمنع طريقة الإهمال اللا نقدية من أخذ توجيهات، سواء أكنت مهياً للتأثير في شخص ما أو مكان أو وضع.

فالمطلوب أن نتبع نصيحة الفيلسوف الإغريقي إبيكتيتوس Epictetus «لا تكن مندفعاً خارجاً عن نفسك (قدمك) بانطباع شديد، لكن قل: الانطباع، انتظر قليلاً، دعني أرى ماذا أنت وماذا تقدم، دعني أقوم باختبارك»²³. من خلال هذه الخطوات يؤكد Ruggiero بإمكانية تحكمننا في آراءنا إذا امتلكتناها وإلا فسيكون العكس صحيح.

6 – ماذا تعني الأدلة؟

لتحديد رأي هو أن تقول للآخرين ما تفكر فيه حول موضوع ما، ولكن لتقديم دليل هو بأن تعرضه على الآخرين حول ذلك الذي تفكر فيه من إن كان له معنى، وأن يكون معروضا (shown) هو أمر مثير أكثر وجذاب من أن يكون مخبراً عنه.

لقد أضحي معنى خداع الذات آفة لدى الجميع، بل إننا أصبحنا نرى اليوم حتى المفكرون النقديون معرضون للإغواء أيضاً، لكن تميزهم يظهر بتعلمهم وامتلاكهم لمعيار مقاومة الإغواء، والأهم من ذلك، أنهم طوروا عادة فحص جودة ومقدار الأدلة قبل أن تشكل لديهم رأياً، وأيضاً يعيدون النظر في هذه الأدلة قبل أن يعبروا عنها كراي.

1.6 - تقييم الأدلة:

كلنا نحب أن نفكر بأنفسنا كأشخاص موضوعيين تماماً، بالتساوي نفتح الجانب الآخر لكل قضية، لكن هذا نادراً ما يحدث، حتى وإن لم تكن لدينا وضعية ثابتة في القضية منذ البداية لتقييمنا لها. إننا عادة ننجرف إلى اتجاه واحد أو إلى آخر من خلال تصورنا الفلسفي للحياة ونظرتنا للسياسة والمجتمع، أو من خلال الآراء التي ترتبط بالقضايا، هذا الانجراف يعرف أيضاً كانهيوس، ربما بشكل طفيف لا يكون له أي تأثير على أحكامنا، ومن جهة أخرى قد يكون خطيراً بما فيه الكفاية ليعيق التفكير النقدي فينا.

²² . ibid, page 67.

²³ .Ruggiero (Vincent Ryan), Beyond Feelings, a guide to critical thinking, Ninth Edition, published by McGraw-Hill, New York 2012, page 68.

ومن خلال ما سبق نلاحظ أن البحث يدفعنا إلى التساؤل عن كيف نعلن عن انحياز أو نزعة تعيق تقييمنا للأدلة؟ للجواب على هذا السؤال سيكون من الضروري أن نبحث في إحدى هذه العلامات التالية التي ترصد لنا الميولات التي من شأنها أن تعيقنا في تقدمنا وبناء حكم يقارب الصحة، إنها تتمثل في²⁴:

- كون منهجك للتقييم يطلب جهة واحدة لإثبات الحق.
- انطلاقك في التحقيق على أساس افتراض أن عدد الجهات النظر المألوفة تبرهن على ما هو صحيح.
- البحث عن الأدلة التي تدعم جانب من المسألة (المشكلة) التي تحبذ معالجتها وتتجاهل في المقابل الأدلة التي تعارض ذلك.
- تقييم المصادر انطلاقاً من مدى ملائمتها لتفكيرك بدلاً من وثوقية وجودة مصادر البحث التي تعتمد عليها.
- أن تكون ناقداً لاذعاً ومتصيداً لأخطاء من عارضك وجهة النظر، دون أي تمحيص وفحص للأدلة التي تؤيد وتدافع عنها.
- عندما تواجه دليلاً يعارض تحيزك، فتبدأ بمحاججته والجدل قبل أن تنتهي دراستك للرأي المخالف، بمعنى أنك تعتمد على إصدار حكم القيمة بنوع من الأجوبة الجاهزة لديك.

ولربما يكون من الصعب التخلي عن انحيازاتنا المعيقة لتفكيرنا الصائب، لكن يمكننا أن نحددها ونتحكم بها، فهذا كله أمر ضروري، فالهدف من تقييم الأدلة هو لاكتشاف الحقيقة، بغض النظر عن إن كانت أمراً مُرضياً أم غير ذلك، والطريقة الوحيدة لفعل هذا هو تقييمها بشكل تام.

«عندما تدعم الأدلة مقدمة ما، يجب التحلي بالشجاعة لتقبلها، فتغيير طريقة تفكيرك ليست بالأمر الشائن، بينما التمسك برأي مغلوط أو خاطئ بعذر الحفاظ على ماء الوجه هذا تصرف لا يدل على السذاجة فقط، بل يجعل منك فكراً شخصاً غير موثوق»²⁵.

2.6 - ما الذي يعين لنا دليلاً على أنه كافٍ؟

نادراً ما تقرر ببساطة أن أدلتك تمّ تقييمها بشكل كافٍ، عندما تضع حكم سوف تأخذ في حسابك عدد الأدلة التي استعنت بها ومدى جودتها لتلائم فكرتك، للأسف لا توجد صيغة بسيطة لتلك وتساعدك في أخذ أي قرار بقضية معينة، لكن يمكن اعتبار الخطوات الثلاث التالية مهمة جداً للجواب على إشكال هذا القسم، إنها²⁶:

- الأدلة هي كافية عندما يسمح لحكم أن يوجد مع حقيقة أو أن يكشف لنا حقيقة
- إذا كانت الحقيقة غير ممكنة البلوغ، الأدلة تكون كافية إذا كانت نظرة واحدة للقضية عرضت لتكون محتملة.

²⁴ . ibid, page 79.

²⁵ .«When the evidence supports such a conclusion, have the courage to embrace it. Changing your mind is not dishonorable, but maintaining a false view in order to save face is not only foolish but also intellectually dishonest», Ruggiero (Vincent Ryan), Beyond Feelings, a guide to critical thinking, Ninth Edition, published by McGraw-Hill, New York 2012, page 80.

²⁶ . ibid, page 80.

• في كل الحالات، الأدلة لا بد أن تعتبر غير كافية.

7 - ما الحجاج؟

الحجاج هو تبادل للرأي بين شخصين أو أكثر وهو يبدو على قدر ما كناقش رسمي، وهذا النوع من الحجاج هو وثيق الصلة بالتفكير النقدي، بمعنى آخر، عبارة الحجاج هو (تبادل للآراء بين شخصين أو أكثر) هي أكثر من مناسبة لتحدي أن تصبح مفكرا نقديا، وبالتالي يصبح الحجاج ذا معنى يرمي إلى: «الحدود المنطقية التي تدعم الحكم»²⁷. ومن أهم المبادئ الأساسية المستعملة من طرف المناطقة لتقييم الحجج نذكرها كالتالي²⁸:

- 1 - المقدمات قد تكون صحيحة أو خاطئة.
- 2 - العلاقات التي تربط المقدمات بالنتائج قد تكون أيضا مقبولة أو مرفوضة.
- 3 - إذا صحت المقدمات وروابطها فهذا يساوي حجة سليمة.
- 4 - إذا كانت المقدمة غير صحيحة والرابط غير مقبول فهذا مساوي لحجة غير سليمة لأنها بعين الاعتبار.

فتقييم الحجج يستقر ببساطة على : تقييم المقدمات من إن كانت صحيحة أو خاطئة وبأي منطق قادت إلى نتائج صدرت عنها هي صحيحة منطقيا. مثلا على هذا نذكر:

كل إنسان فان

سقراط إنسان

سقراط فان

«من الواضح على أن المقدمات صحيحة، وكذلك نتائجها، هذه النتيجة وحدها فقط تستتبع منطقيا سلامة حجتها»²⁹.

خلاصة

نستخلص مما سبق أن مبادئ الفكر لم تكن إلا من أجل تسويق نظري ومنهجي وبناء نظرية الحقيقة والمعنى من حيث إنهما يؤكدان على أن تصور براغماتي لا يكون من وجهة نظر العقلانية الخالصة ولا من وجهة نظر التجريبية محضة، وإنما يتشكل المعنى من خلالهما معا. إذ أن الحقيقة يتم اكتشافها وليست هي معطى قبلي كما كان يعتقد كانط، أي يتم بناء الحقيقة على العقل الخالص، وهذا مفاده أن التجربة

²⁷ . ibid, page 83.

²⁸ . ibid, page 85.

²⁹ .«The premises obviously are true. Also, the conclusion offered, and only that conclusion, follows logically. Accordingly, the argument is sound», Ruggiero (Vincent Ryan), Beyond Feelings, a guide to critical thinking, Ninth Edition, published by McGraw-Hill, New York 2012, page 86.

والخبرة واختبار الأفكار وتمحيص منطق الصواب والخطأ في الآراء والتصورات والنظر في الاعتقاد من حيث هو مرتبط بالأفراد والذوات ومتغير وفق الظروف والسياقات...، كل ذلك يؤكد أن الحقيقة مرتبطة بمرجع الواقع والتوافق بين الفكرة وحقيقتها الحسية. من هنا كان التفكير النقدي عرضة لانتقادات كثيرة تسعى إلى إبراز خطأ هذا الفكر في عدم تمييزه بين المعتقدات وبين الأفكار الواقعية، بل وعدم فصله بين مجال الإيمان ومجال العقل ومجال التجربة. وبالتالي تم جعل الفكر النقدي يتجه نحو التطبيق والمزاوجة بين ما يمكن إدراكه وما لا يمكن إدراكه بطريقة ملائمة وعقلانية وهنا تتجلى قوة أي مشروع فكري.

هكذا نفهم على أن جوهر هذا الفكر يعمل في هذا الموقع لإعادة تعريف النظام العملي الذي يتعلق به. ولأجل فهم النظرية ومبادئها لا يجب فهم الممارسة باعتبارها نقيضاً للنظرية، ولكن باعتبارها نقيضاً لما هو عام وللمجرد. وهذا يعني؛ ضرورة وجوب فهمها- التجربة- بالمعنى الخاص كمحسوس قابل للتحديد³⁰ *déterminable*.

لائحة المراجع

-Ruggiero (Vincent Ryan), *Beyond Feelings, a guide to critical thinking*, Ninth Edition, published by McGraw-Hill, New York 2012.

- Peter A. Facione, *Critical Thinking. What It Is and Why It Counts, Measured Reasons and The California Academic Press, Millbrae, CA 2011.*

-Richard Paul and Linda Elder, *The Miniature Guide to Critical Thinking Concepts and Tools*, 28th Annual International Conference on Critical Thinking, Near University of California at Berkeley, July 19 – 24, 2008.

- Galetic, Stéphan, *Théorie et pratique chez William James*, Université de Liège, *Bulletin d'analysephénoménologique* IV 3, 2008 (Actes 1).

³⁰. Galetic, Stéphan, *Théorie et pratique chez William James*, Université de Liège, *Bulletin d'analysephénoménologique* IV 3, 2008 (Actes 1), page 55.



مركز أفكار للدراسات والأبحاث

جميع الحقوق محفوظة @2020